الإدغام بين اللهجة والقراءة ـ دراسة تطبيقية على سورة (يس)

د. محمد خليفة محمد مفتاح الحجاجي/ الجامعة المفتوحة

المقدمة :

إن هذا البحث يتناول الظاهرة الصوتية (الإدغام) لمعرفة أ صولها من خلال اللهجة العربية القديمة وربطها بالقراءات القرآنية من خلال تطبيقها على سورة (يس) كنموذج ،ودليلٍ على فصاحة هذه الظاهرة التي جاءت القراءات القرآنية مؤيدة لها ومقرّة لها باعتبارها تمثّل الفصاحة اللغوية للغة القرآن الكريم ، ورخصة من الواحد الديّان لعباده المؤمنين الذين تتنوع لهجاتهم وألسنتهم ويصدق قول الحقّ تبارك وتعالى (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍ) القمر/17 بعيداً عن كل الظواهر الصوتية الأخرى التي لم ترتق إلى حدّ الفصاحة ككشكشة ربيعة وعنعنة تميم وغيرهما ...

ويهدف البحث أيضاً إلى نشر ثقافة معرفة تنوّع الأصوات في اللهجات العربية ، وكيف أن القراءات القرآنية جاءت مؤكدة ومقرّة لبعض الأصوات في اللهجات العربية ، ولولا وجودها في القراءات القرآنية لعدّ من يسمعها من غير المتخصصين لحناً أوخطأً صوتياً وتحريفاً لنطق الحروف العربية التسعة والعشرين .

إشكالية البحث :

تكمن إشكالية البحث في تحديد معنى أن ظاهرة (الإدغام) المنتشرة في اللهجات العربية هي لهجة عربية ترتقي إلى حدّ الفصاحة بدليل وجودها ونطقها في القراءات القرآنية وعلى هذا تعدّ القراءات القرآنية سجلا حافظاً لمختلف الظواهر الصوتية المتنوعة التي يزخر بها تراثنا اللغوي وسورة (يس) كنموذج تزخر بهذا التنوع من خلال اختلاف القراء العشرة الذين تواترت قراءاتهم ما بين مدغمٍ ومظهرٍ

منهجية البحث :

اقتضت طبيعة البحث في اللهجات العربية والقراءات القرآنية الاعتماد على المنهج الاستقرائي تارةً كما هو الحال في تتبّع اللهجات في كتب التراث ، والمنهج الوصفي والتحليلي تارةً أُخرى كما هو في القراءات القرآنية في تطبيق الظاهرة في سورة (يس) ولذا قسمت البحث إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : التعريف بظاهرة (الإدغام) ووجودها في اللهجات العربية مستدلاً على ذلك بما ورد في كتب اللهجات والنحو وغيرهما ...

القسم الثاني : تطبيق ظاهرة (الإدغام) وتنوّعها في سورة (يس) من خلال كتب القراءات المختلفة كالنشر لابن الجزري وكتاب البدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي معلّلاً لذلك صوتياً بما ورد في كتب التعليل ككتاب الكشف لمكي بن أبي طالب وغيره .

القسم الثالث : يتضمّن أهم النتائج والتوصيات مردفاً بالهوامش .

لهجة الإدغام :

إن لهجة الإدغام لهجة منتشرة في شبه الجزيرة العربية ، وتنسب إلى قبائل تميم وما جاورها ([1]) ، وضدها الإظهار ، وينسب إلى قبائل الحجاز([2]) ، والإدغام هو مصطلح يراد به تداخل بعض الحروف المتقاربة في المخرج أو الصفة إذاتجاورت من أجل تخفيف النطق وسهولته على اللسان يقول الزجاجي عالم اللغة والنحو في تعريف الإدغام : (هو أن يلتقي حرفان من جنس واحد ، فتسكن الأول منهما وتدغمه في الثاني ، أي تدخله فيه فيصير حرفاً واحداً مشددا ينبو اللسان عنه نبوة واحدة أو يلتقي حرفان متقاربان في المخرج فتبدل الأول من جنس الثاني وتدغمه فيه فيصير حرفا واحداً وإنما تفعل ذلك تخفيفاً) ([3]) ، ويقول عنه إمام اللغة (سيبويه) في (الكتاب) : (هذاباب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لايزول عنه) ([4]) ، ويمثّل لنا ذلك بقوله أيضاً : (وإنما هو بمنزلة قولك : أحمدّاود ،واذهب بنا ، فهذا لا تصل فيه إلا إلى الإدغام) ([5]) ، وهو ما يسميه القراء بإدغام المتماثلين ، ويعرف بالإدغام

الصغير([6]) ، ينشد (سيبويه) في كتابه (الكتاب) وهو أقدم كتاب وصل إلينا مؤيداً على أن الإدغام لهجة من لهجات العرب قوله :

تقول إذا استهلكت مالاً للدّة فكيهة هشّيء بكفّيك لائق ([7])

يريد هل شيء ، ثمّ جعل قراءة أبي عمرو شاهداً على هذه اللهجة إذ يقول : (وقرأ أبو عمرو: (هثُوبَ الكفّارُ)، يريد:هلْ ثوّب الكفارُ، فأدغم في الثاء) ([8]) وأنشد أيضاً قول الشاعر : ([9])

فدع ذا ولكن هثُّعين متيّماً على ضوء برْق آخر الليل ناصبُ

يريد هل تعين ، وكل ذلك يراد به تخفيف النطق يقول شارح المفصّل : (والغرض بذلك طلب التخفيف ؛ لأنه ثقل عليهم التكرير) ([10]) غير أنّ نسبة الإدغام وتحديدها في تميم وقيس وأسد كما حددها النحاة تكون غير دقيقة، فالإدغام ظاهرة لهجية متفشية حتى عند القبائل الأخرى التي نسب إليها الإظهاركالحجاز ، فقد نسب إلى النبي (ص) أنه قال : (أيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدّه ....)([11]) بإدغام التاء في الدال وهو قرشيّ من الحجاز ، كما أنّ قراء مكة والمدينة روي عنهم الإدغام في كثير من المواضع كإدغام (اتخذتم ، أخذتم ، لاتخذت) عند الإمام نافع ([12]) ، وأجمع القراء على إدغام النون الساكنة والتنوين في اللام والراء بغير غنة وفي الياء والميم بغنة ([13]) ، ومصطلح الإدغام عند النحاة واسع ، فهم يطلقونه لمجرد تقارب الأصوات وتأثر بعضها ببعض كما يذكر ابن جنّي([14]) بقوله : (قد ثبت أنّ الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت) ([15])، وذلك في مثل : أصدق ، يصدر ، تصدية ،الصراط ، حيث يتأثر الصوت الأول بالصوت الثاني ، فالصاد صوت مهموس ، والدال صوت مجهور فللتقريب والتوفيق بينهما يؤتى بصوت الزاي المفخّم ليتمّ التقريب الصوتي ويكون النطق خفيفاً على اللسان كما ينطق الإخوة المصريون لفظ (الظاء) في قولهم : ياظالم الآن في لهجتهم المحكية ، وربما تكون هذه اللهجة امتداداً لظاهرة إشمام الصاد زاياً أو الظاء زاياً في اللهجات الحديثة ، وهذا الذي دعا الدكتور أحمد علم الدين الجندي

يقول : (ان اتتشارالإدغام واتساع دائرته في القراءات يربط بين اللغة الفصحى كما يمثلها القرآن ..... وبين لهجاتنا الحديثة) ([16]) ، ويقول أيضاً :

(ولست مغالياً إذا قلت : إن الحقل اللغوي الذي تصوره قراءات القرآن الكريم ــ ينطــوي على تاريخ لغتنا، ويمثلها تمثيلاً واقعيا أصدق من غيره) ([17]) ، وقديماً ذكر ذلك الإمام أبــوعمــرو بقوله:(الإدغام كلام العرب الذييجري على ألسنتها، ولايحسنون غيره) ([18]) ، ومن خلال تأمل إمام اللغة (سيبويه) للهجات العرب وجد أن هناك حروفا تدغم فيما جاورها ، وهناك حــروف تفــرّمن الإدغام، فكلما تباعدت مخارج الحروف كان البيان أوجب ، وكلما تقاربت الحروف في المخرج أوفي الصفة كان الإدغام أحسن كما في كلامه عن حروف الحلق إذ يقول : (ومماقالت العرب تصديقاً لهذافي الإدغام قول بني تميم : محُّم ، يريدون : معهم، ومحَّاؤُلاء ، يريدون: مع هؤلاء) ([19]) ، ويقول في شأن التقاء النون مع الراء :(النون تدغم مع الرّاء؛ لقرب المخرجين على طرف اللسان) ([20]).

حروف الإظهار :

إن القراء يولون اهتماماً بالغاً أكثر من النحاة لهذه الظاهرة خاصةً عندما تجاور النون الساكنة والتنوين حروف الحلق فكلّما تجاورت حروف الحلق مع حروف الشفة كانت أبعد من الإدغام وحروف الحلق هي : الهمزة ، الهاء ، العين ، الحاء ، الغين ، الخاء . ويُعَلَّلُ لذلك بقولهم : (لأن حروف الحلق ليست بأصلٍ للإدغام لبعدها من مخارج الحروف) ([21]) ، والأمثلة على ذلك مثل قولك : (مَنْ أنت ؟ ، مَنْ هذا؟ ، مَنْ عَرَفَكَ ؟ ، مَنْ حَوْلَكَ؟ ، مَنْ غيْرُكَ؟ ، مَنْ خَلَقَكَ ؟) فإنك لا تستطيع أن تُدغِمَ بحالٍ من الأحوال .

أسباب الإدغام :

إنّ النحاة والقراء يجعلون أسباب الإدغام أسباباً ثلاثةً هي : التماثل ، والتجانس ، والتقارب ([22]) .

أولاً ــ التماثل : وهو اتفاق الحرفين مخرجاً وصفة كاللام مع اللام والدال مع الدال ...إلخ بشرط سكون الأوّل وتحرك الثاني، إذْ مخرجهما واحد وصفاتهماواحدة وهذاهوالتماثل مثل قوله تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبْ بِّعَصَاكَ)([23])، ونحو قُلَّهُ مِن قُلْ لهُ يقول ابن الجزري في شأن ذلـــــك : (فإذا وجد الشرط والسبب وارتفع المانع جاز الإدغام ، فإن كانا مثلين أسكن الأول وأدغم)([24]) .

ثانياً ــ التجانس : وهو أن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفةً كالدال مع التاء في مثل قوله تعالى : (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)([25]) ، ونحو قد تعلم، وقد تقول ، فالدال والتاء مخرجهما واحد وهو طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ([26]) ، ولكنهما يختلفان في الصفات ، فالدال مجهورة والتاء مهموسة ([27]) .

ثالثاً ــ التقارب : وهو أن يتقارب الحرفان مخرجاً أو صفة ، أو مخرجاً وصفة وهو ماأشير إليه في كتب القراءات تحت مسمّى (حروف قربت مخارجها) كالسين مع الشين والدال مع السين كما في قول تعالى : (قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) ([28]) ، ونحو قد سّمعتك، وقد سَّرب الخبر، والمتأمل في ذلك يجد أن الدال والسين مخرجهما متقارب ، فالدال تخرج من طرف اللسان مع ما يليه من أُصول الثنايا العليا ، والسين تخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى([29]) ، ولكنهما يختلفان في بعض الصفات فمثلاً الدال مجهورة والسين مهموسة والدال مقلقلة والسين من حروف الصفير، وهكذا مع كل صوتين تقاربا صفة أومخرجاً نجد أنَّ شدة التقارب سبب موجب للإدغام و هو ما يسمّى بالانسجام الصوتي .

موانع الإدغام :

1ـ تحرّك الحرف الأول وسكون الثاني نحو قوله تعالى : (أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي) ([30]) لأنَّ حقيقة الإدغام سكون الأوّل وتحرّك الثاني ، فإذا حدث العكس امتنع الإدغام يقول شارح المفصل: (وما كان كذلك فإن الإدغام يمتنع فيه لأمرين : أحدهما تحرك الأول والحرف الأول متى تحرك امتنع الإدغام ؛ لأن حركة الحرف الأول قد فصلت بين المتجانسين فتعذّر الاتصال) ([31]) .

2ـ أن يكون الساكن الأول حرف مدّ فعندئذٍ يمتنع الإدغام مثل قوله تعالى :(وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ) ([32]) .

3ـ أن يكون الساكن الأول حرفاً مخرجه من الحلق كما في قوله تعالى:(فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَالسُّجُودِ) ([33]) ، يقول شارح المفصّل : (ولذلك لا تدغم الحاء في الهاء ، والبيان في هذا أحسن من الإدغام ؛ لأنّ حروف الحلق ليست بأصل للإدغام) ([34]) .

4ـ أن يكون أحدهما للإلحاق كما في نحو : قَرْدَدَ وجَلْبَبَ ؛ إذ لو أسكنت لخرج الوزن المراد وهو على وزن فَعْلَلَ مثل : دحرج ، ويبطل الغرض من الإلحاق ([35]) .

5ـ أن يؤَدي الإدغام إلى لبسٍ كما في نحو : سُرُرٍ وطَلل ؛ فلو أدغمت لالتبس علينا الاسم والفعل أيهما المراد؟ كما في طلل لو أدغمت لم يُعلم أنَّ طللاً فعل وأُدغِم ؛ لأن في الأسماء ماهو على وزن فَعْل بسكون العين ([36]) .

أنواع الإدغام :

ذكرت كتب القراءات والتجويد أن الإدغام ينقسم إلى :

1ـ إدغام كبيرمثل **:** قوله تعالى : (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) ([37])، وهو ما كان أول المثلين متحركاً يسكَّن للإدغام ، وقد سمّيَ كبيراً ؛ لكثرة وقوعه ، وقيل؛ لصعوبته ، وقيل ؛ لتأثيره في المتحرك بإسكانه ([38]) ، وقد اشتهر به الإمام أبوعمر البصري ، والإمام حمزة في بعض المواضع ([39]) .

2ـ **إدغام صغي** : وهو ما كان الحرف الأول ساكناً مثل قوله تعالى : (فَقُلْنَااضْرِبْ بِّعَصَاكَ) ([40]) ، وسمّيَ صغيراً ؛ لأنّ الإدغام لا يحتاج للتسكين ، وهذا هو الفرق بينه وبين الإدغام الكبير ، وهو الذي كثر الاختلاف فيه بين القراء مابين مظهرٍ ومدغمٍ .

3ـ **إدغام الحروف المتقاربة في المخارج :** وهو إدغام اختلف فيه القراء مابين مظهرٍ ومدغمٍ كحرف الذال مع الجيم كما في قوله تعالى : (إِذْ جَّآءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) ([41]) ، والدّال مع الضاد كما في قوله تعالى : (فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ) ([42]) ، والتاء مع الجيم كما في قـــوله تعـــالى : (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ) ([43]) ، واللام مع التاء كما في قوله تعالى: (هَلْ تَّرَى مِنْ فُطُورٍ) ([44]) ، واللام مع الظاء كما في قوله تعالى:(بَلْ ظَنَنْتُمْ أن لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ) ([45]) ، وقس على هذا في اللهجات العربية ، فقد ذكر ابن يعيش هذا النوع من الإدغام بأمثلةٍ من كلام العرب ؛ ليدلل على أن الإدغام منتشرٌفي لسان حالهم كقوله: (إدغام اللام في الشين والمرادهلْ شيء) ([46]) ، وهو يشرح إدغام الشاعر في قوله : فكيهة هشَّيْءٌ بكفّيْكِ لائقُ ،

وكقوله : (والشاهد فيه إدغام اللام في التاء من قوله هتّعين والمراد هلْ تعين) ([47]) ، وهو يشرح قول الشاعر: ... هتَّعين متيَّماً..... و يلاحظ أنَّ هناك فرقا بين أمثلة النحاة ممن تلقّفوه من ألسنة العرب ولهجاتهم، وبين ما التزم به القراء من إدغام ورَدَ على لسان نبيِّهم صلوات ربي وسلامه عليه ؛ إذِ القراءة سنة متَّبعة لا يجوز مخالفتها ؛ ولذا نرى عدداً من النحاة يقفون من القراءات موقف المنكر في مثل هذه الظواهر لمجرد أنهم لم يستسيغوها أو لم يسمعوا ما جاء على شاكلتها مثل قول ابن جنّي : (" ومثل شهر رمضان" "إنا نحن نحيي ونميت" لابد من أن تكون النون الأولى مختلسة الضمة تخفيفاً وهي بزنة المتحركة ، فأما أن تكون ساكنة والحاء قبلها ساكنة فخطأٌ ، وقول الفرّاء إن هذا ونحوه مدغم سهو منهم وتصوّر عن إدراك حقيقة الأمر) ([48]) ، وكقول ابن يعيش موافقاً رأي ابن جنّي في شأن هذا : (فأما ما يحكى من الإدغام الكبير لأبي عمرو من " نحن نقص" فليس بإدغام عندنا وإنما يقول به الفراء)[49]، وكذلك قول ابن جنّي في إشمام الصاد زايا عند القراء في لفظ (الصّراط) : (وإنما تقلب الصاد زايا أو تشمّ رائحتها إذا وقعت قبل ذلك فإن وقعت قبل غيرها لم يجز ذلك) ([50]) ، والصحيح أن القرآن حجة على اللغة وليست اللغة حجة على القرآن ، فقراءة الإمام حمزة الزيات إشمام الصاد زايا حُجّة يقول الإمام الداني ([51]): (خلف "الصراط وصراط" حيث وقعا بإشمام الصاد الزاي وخلاّد بإشمامها الزاي في قوله عزّوجلّ:(الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)هنا خاصة) ([52]) هي موافقة للسان العربيّ المبين .

4ـ **إدغام النون الساكنة والتنوين :** وهي تدغم بغنّةٍ في حروف (ينمو) وبغيرغنّةٍ في اللاّم والرّاء ([53]) كمثل : (مَنْ يَّعْلَمُ ، مِنْ نَّصِير ، مِمَّا مَلَكَتْ ، مِنْ وَّلِيٍّ) والتنوين مثل : (صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، وَلِيٌّ وَّلاَشَفِيعٍ ، يَوْمَئِذٍ يَّصَدَّعُونَ) ، وفي اللام والراء مثل : (زَبَداً رَّابِياً ، يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنْفَعُ) .

5ـ **إدغام لام (الْ) التعريف فيما بعدها**: وهي اللام الشمسية التي تدغم في أربعة عشر حرفاً مجموعة في أوائل كَلِم هذا البيت :

طِب ثمَّ صِل رحماً تفُزْ ضِفْ ذا نعم *** دَعْ سوء ظنْ زُرْ شريفاً للكرم

وقد سمِّيت بذلك بجامع الخفاء وعدم الظهور([54]) ، فإذا وقع أحد هذه الحروف بعد اللام وجب إدغامها مثل : الطَّيبات ، التَّمرات ، الصَّلوات ، الرَّحمن ، التَّائبون .... إلخ .

القسم الثاني : الدراسة التطبيقية للإدغام في سورة (يس)

اختلف القرّاء مابين مظهرٍ ومدغمٍ في هذه السورة على النحو الآتي :

* قوله تعالى : (يَسٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ) ([55]) ، وهو التقاء السين من (يس) مع الواو في (والقرءان) ، فقد أدغمها من القرّاء (ورش) عن نافع وابن عامر الشامي وشعبة عن عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر ، والباقون بإظهارها ([56]) ، وعلّة ذلك من الناحية الصوتية هو التقارب ، وتشبيه الواو بالميم ، فكلاهما من مخرج الشَّفة ، ولتقاربهما في الصفات ، فالنون والواو مجهورتان مرققتان ، ولأنَّ الواو والميم من مخرج واحدٍ وتدغم النون فيها فكذلك الواو ؛ ولذا يحسن الإدغام ([57]) .

* قوله تعالى :(إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ) ([58]) ، ويُشَار إلى هذا الإدغام بأنه من **حروف قرُبَت مخارجها** ، وهو التقاء الذال الساكنة مع الجيم في كلمتين متجاورتين ، أدغم هذا الموضع الإمام أبو عمرو البصري وهشام ([59]) ، وعلة ذلك من الناحية الصوتية هو أنَّ بالإدغام يحدث انتقال من الضَّعف إلى القوّة ؛ أي بمعنى أن صوت الجيم أقوى من الذال بالجهر والشّدّة ، والذال حرف رَخْوٌ ؛ ولذا حسُنَ الإدغام ([60]) ، وقرأ غيرهما بالإظهار على الأصل ، ومعنى ذلك أنَّ هذا التنوّع في الإظهار والإدغام هو ذلك التنوّع الذي تشهده اللهجات العربية في لسان حالها .

*** الإدغام بسبب التماثل** :

هناك مواضعُ يحدث فيها عملية الإدغام بسبب التماثل ؛ أيْ أنّ الحرفين متماثلان وسكن الأوّل وتحرك الثاني وتجاورا فحدث الإدغام ؛ إذْ لايوجد سبب يمنع الإدغام ، والمواضع في هذه السورة هي كالآتي :

* قوله تعالى : (فَهُمۡ مُّقۡمَحُونَ) ([61]) .

* قوله تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً) ([62]) .

* قوله تعالى : (إِنَّاإِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ) ([63]) .

* قوله تعالى : (وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) ([64]) .

* قوله تعالى : (وَهُمْ مُّهْتَدُونَ) ([65]) .

* قوله تعالى : (مَايَأْتِيهِمْ مِّنْ رَّسُولٍ) ([66]) .

* قوله تعالى : (قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُون) ([67]) .

* قوله تعالى : (مِنْ نَّخِيلٍ) ([68]) .

* قوله تعالى : (فَإِذَاهُمْ مُّظْلِمُونَ) ([69]) .

* قوله تعالى :(وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّنْ مِّثْلِهِ) ([70]) .

* قوله تعالى : (وَإِنْ نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ) ([71]) .

* قوله تعالى : (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ ءَايَةٍ) ([72]) .

* قوله تعالى : (فَإِذَاهُمْ مِّنَ الأَجْدَاثِ) ([73]) .

* قوله تعالى : (وَلَهُمْ مَّا يَدَّعُونَ) ([74]) .

* قوله تعالى : (وَمَنْ نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) ([75]) .

* قوله تعالى : (خَلَقْنَالَهُمْ مِّمَّا عَمِلَتْ) ([76]) .

* قوله تعالى : (مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا) ([77]) .

* قوله تعالى : (جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الشَّجَرِ) ([78]) .

* قوله تعالى : (أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ) ([79]) .

وقد اتفق كل القراء بلا استثناءعلى إدغامها اعتماداً على توافر أسباب الإدغام وعدم المانع ([80]) .

إدغام النون الساكنة والتنوين في سورة (يس) :

اشتملت السورة على عددٍ من المواضع أُورِدُها متسلسلة كما وردتْ في السورة على الشكل الآتي:

(صراطٍ مُّستقيمٍ ، قوماً مَّاأُنذرَ ، بمغفرةٍ وَّأجرٍ، إمامٍ مُّبينٍ ، قومٌ مُّسرفونَ ، رجلٌ يَّسعى ، منْ لَّايسْئلكم ، أجراً وَّهمْ ، إنْ يُّردْنِ ، شيئاً وَّلا يُنقِذُون ، ضلالٍ مُّبينٍ ، جُندٍمِّن السمآءِ ، صَيحةً وَّاحدةً ، مِنْ رَّسولٍ ، وإن كُلٌّ لَّما ، جميعٌ لَّدينا ، وءايةٌ لَّهمْ ، جنَّتٍ مِّن ، نخيلٍ وَّأعنابٍ وَّفجَّرنا ، منْ مَّاتنبتُ ، وَ مِّمالا يعلمونَ ، وءايةٌ لَّهمْ ، لِمُسْتقَرٍّلَّها ، فَلكٍ يَّسبَحونَ ، وءايةٌ لَّهمْ ، مِنْ مِّثلهِ ، وإنْ نَّشأ ، رحمةً مِّنَّا ، ءايةٍ مِّنْ ءاياتٍ ، مِنْ مَّا رزقكُمُ اللَّهُ ، مَنْ لَّوْ يشآءُ ، ضلالٍ مُّبينٍ ، صَيْحةً وَّاحدةً ، تَوْصِيَةً وَّلا ، مِنْ مَّرْقَدِنا ، صيْحةً وَّاحدةً ، جَمِيعٌ لَّدينا ، شَيْئاً وَّلا تُجْزَوْنَ ، فَاكهةٌ وَّلهُمْ ، قولاً مِّنْ رَّبٍّ رَّحيمٍ ، أنْ لاَّ تعبدُواْ ، عَدوٌّمُّبينٌ ، صِراطٌ مُّستقيمٌ وَّلقدْ ، مُّضِيًّا وَّلا ، ومنْ نُّعمِّرْهُ ، ذِكْرٌ وَّقرءانٌ مُّبينٌ لِّيُنْذِرَ ، حيًّا وَّيحقَّ ، مَنافعٌ وَّمشاربٌ ، ءَالهةً لَّعلَّهمْ ، جُندٌ مُّحضَرُونَ ، مِنْ نُّطفةٍ ، خَصيمٌ مُّبينٌ ، مثلاً وَّنسيَ خَلْقَهُ ، مَنْ يُّحي ، رَمِيمٌ قُلْ ، مَرَّةٍ وَّهوَ ، أنْ يَّخلُقَ ، أنْ يَّقُولَ ، كُلِّ شَيْءٍ وَّإِلَيْهِ تُرجَعُونَ) وقد اتفق جميع القراء على إدغام النون الساكنة والتنوين في حروف (يرملون) بغنَّةٍ في حروف (ينمو) وبغير غنَّةٍ في (اللاَّم والرَّاءِ) ([81]) ، يستثنى منهم قارئ الإمام حمزة (خَلَف) حيث أدغم بغير غنَّةٍ في (الواو والياء) يقول الإمام الشاطبي ([82]) :

وكلٌّ بينمو أدغمو مع غنة *** وفي الواو والياء دونها خلف تلا ([83])

وعلّة إدغامه بغير غنةٍ في الياء والواو هو أصل الإدغام وهو فناء الحرف الأوّل دون بقاء أثر الغنّة ([84]) .

إشمامُ الصاد زاياً كنوع من التقارب في سورة (يس) :

اشتملت السورة على مثل هذا النوع من الإدغام في المواضع الآتية :

قوله تعالى :(عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) ([85]) ، وقوله تعالى: (وَأَنِ اِعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ)([86]) ، وقوله تعالى :(فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) ([87]) ، فقد قرأها بإشمام الصاد زاياً (خَلَفٌ) عن حمزة قولاً واحداً ، واختلف عن (خلاّدٍ) وهو الراوي الآخر عن حمزة أيضاً الإشمام وتركه ([88]) ، كما ينطق العوامّ في مصر لفظ (الظَّالم) فيقولون : (الزَّالِم) كذلك يقرأ القرّاء لفظ (الصّراط) (الزِّراط) ، وعلّة ذلك من الناحية الصوتية كما أورده مكّيٌّ في الكشف بقوله : (وحجة من قرأه بين الصاد والزاي وهو خلف عن حمزة أنه لمّا رأى الصاد فيها مخالفة للطاء في الجهر ؛ لأن الصاد حرف مهموس والطاء حرف مهموس أشمَّ الصاد لفظ الزاي للجهر الذي فيها ، فصار قبل الطاء حرف يشابهها في الإطباق وفي الجهر اللذين هما من صفة الطاء ..... ليكون عمل اللسان من جهةٍ واحدة فذلك أخفّ عليهم) ([89])

الإدغام الكبير في سورة (يس):

وهو تسكين الحرف الأوّل المتحرّك لتتمّ عملية الإدغام فقد ورد في هذه السورة في المواضع الآتية :

- قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) ([90]) ، وقوله تعالى : (بِمَا غَفَرْلِّي رَبِّي) ([91]) ، وقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) ([92]) ، وقوله تعالى: (أَنْفِقُواْ مِمَّا رَزَقْكُمُ اللَّهُ) ([93]) ، وقوله تعالى : (أَنُطْعِمُ مَّنْ لَّوْ) ([94]) ، وقوله تعالى :(لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَّصْرَهُمْ) ([95]) ، وقوله تعالى : (إِنَّا نَعْلَمْ مَّايُسِرُّونَ) ([96]) ، وقوله تعالى : (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ) ([97]) ، وقوله تعالى : (أَنْ يَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) ([98]) .

فقد قرأ بهذا النوع من الإدغام الإمام السوسي عن أبي عمرو البصري ، وقد اختصّ به وحده ولم يشاركه غيره إلاّ الإمام حمزة في غير هذه المواضع ([99]) ، وقد ذكرت من قبل أن الإدغام الكبير سمّيَ بذلك ؛ لصعوبته وقيل لتأثيره في المتحرك بإسكانه ، وسبب كلّ ذلك التقارب أو التجانس .

القسم الثالث : الخاتمة والنتائج التي توصّل إليها الباحث :

من خلال هذه الدراسة والتجوّل في القراءات القرآنية من خلال سورة (يس) وجدت أن الإدغام المنتشر في اللهجات العربية هو عينه الموجود في القراءات القرآنية ، وأنّ الاختلاف الحاصل في الحروف المتقاربة بين الإظهار والإدغام بين اللهجات العربية هو عينه الاختلاف الحاصل بين القراء ما بين مظهرٍ ومدغمٍ ، وهذا ما يفسر لنا حكمة النزول من القراءات القرآنية وهو إرادة التخفيف على الأمة بما يوافق ألسنتهم ولهجاتهم ، ودفع المشقّة وليعمل اللسان على وجهٍ واحدٍ فيكون الذكر الحكيم ميسَّراً لكل من يلهج لسانه بالعربية امتثالاً لقول الحق تبارك وتعالى : (إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) ([100]) ، عربيًّا بلهجاته المتنوّعة التي تشكّل اللسان العربيّ الفصيح ، وقد وصلت إلى نتائج أحسب أنها تفيد القارئَ وتفتح آفاق البحث لمزيدٍ من الاطلاع على نفائس لغتنا البديعة أهمّها :

* الإدغام لهجة فصيحة موجودة في اللسان العربيّ قديماً وحديثاً .

* القراءات القرآنية خير شاهدٍ على فصاحة هذه اللهجة .

* اشتهر الإدغام عند النحاة والقراء وقد فصّلوا القول فيه ، فكان القراء أكثر تفصيلاً وتنويعاً ، وقد اشتهر الإدغام الكبير عند أبي عمرو البصري عن طريق راويه السوسي.

* إن القراء لم يلتزموا بما في لهجاتهم وإنما بما تلقَّفوهُ من نبيّهم صلوات ربي وسلامه عليه مما يعني أن

القراءة سُنَّةٌ متَّبعة يلزم القبول بها وعدم ردّها .

* إن علماء التجويد والقراءات قد أوجدوا مصطلحات وتقسيمات لعملية الإدغام , وهذا يظهر جليّا في

تقسيماتهم المتنوّعة التي أشرت إليها في ثنايا هذا البحث .

* إن بعض النحاة لم يتفقوا مع بعض القراءات القرآنية في عملية الإدغام وقد وصفوها بالخطإ أحياناً كابن جنّي

وابن يعيش كما في تقريب الصاد زاياً في لفظ (الصّراط) ، وقد بيَّنت ذلك في موضعه .

* إن القراء قد أكثروا من الإدغام الصغير في سورة (يس) أماموا‌ضع الإدغام الكبير فهي قليلة وقد انفرد

بإدغامها السوسي عن أبي عمرو البصري .

* عند التعليل لظاهرة الإدغام وُجِد أن سببه التقارب في المخرج أو في الصفة أوهما معاً أو التماثل مع إسكان

الحرف الأوّل ولو كان متحرّكاً .

* كلّما تباعدت الحروف في المخارج والصفات كلّما تباعد الإدغام .

الهوامش

1. ينظر كتاب اللهجات العربية في التراث للدكتور أحمد علم الدين الجندي ج/1 ص: 297، ط/ دار الكتب العلمية عام 1983م.
2. المصدر السابق ص : 295.
3. الجمل للزجاجي تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد ص: 414،413، ط/ الأولى، نشر مؤسسة الرسالة.
4. الكتاب لسيبويه تحقيق وشرح عبد السلام هارون ج/4 ص: 437 ، الطبعة / الأولى ، نشر دار الجيل – بيروت.
5. الكتاب لسيبويه ج/4 ص: 442.
6. ينظر كتاب النشر لابن الجزري تقديم الأستاذ علي محمد الضباع ج/ 2 ص: 3، ط/الثانية عام 2002م، دار الكتب العلمية- بيروت.
7. ينظر الكتاب لسيبويه ج/4 ص: 458.
8. المصدر السابق ج/4 ص: 459.
9. البيت ينسب لمزاحم العقيلي ، وهو موجود في كتاب شرح المفصل لابن يعيش ج/ 10 ص: 141،ط/عالم الكتب –بيروت.
10. المصدر السابق ج/10 ص: 121.
11. اللسان لابن منظور ج/ 3 ص: 125،ط/بيروت .
12. ينظر كتاب التيسير لأبي عمرو الداني ص :44 ، عنى بتصحيحه اوتويرتزل ،ط/الثانية ،عام 2005م.
13. المصدرنفسه والصفحة نفسها .
14. ابن جنّي هو :عثمان ابن جنّي الموصلي أبو الفتح ولد بالموصل وتوفي ببغداد سنة 392هـ . ينظر بغية الوعاة للسيوطي ج/2 ص:132 ، ط/الثانية .
15. الخصائص لابن جنّي تحقيق محمد علي النجار ج/2 ص: 139.
16. اللهجات العربية في التراث للدكتور أحمد علم الدين الجندي ج/1 ص : 316.
17. المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
18. النشرفي القراءات العشر لابن الجزري ج/1 ص : 216.
19. الكتاب لسيبويه ج/4 ص : 450.
20. المصدر السابق ج/4 ص : 450.
21. شرح المفصل لابن يعيش ج/ 10 ص :136.
22. ينظركتاب النشر لابن الجزري ج/ 1 ص: 218 ، وينظر كتاب شرح المفصل لابن يعيش ج/10 ص: 123،122.
23. البقرة /59.
24. النشر لابن الجزري ج/1 ص: 219.
25. البقرة/ 254.
26. ينظر كتاب الأصوات العربية للدكتور عبد التواب مرسي حسن الأكرت ص :164 ، ط / 2013 م ، الناشر/ المكتبة الأزهرية.
27. ينظر كتاب علم الأصوات اللغوية للدكتور مناف مهدي الموسوي ص: 46 ، منشورات جامعة السابع من أبريل/ الزاوية.
28. المائدة/ 104.

29. ينظر كتاب الأصوات العربية للدكتور عبد التواب مرسي ص : 164، 165.
30. الفرقان /17.
31. شرح المفصّل لابن يعيش ج/ 10 ص: 121.
32. المعارج/ 4.
33. ق / 40.
34. شرح المفصل لابن يعيش ج/ 10 ص: 136.
35. ينظر المصدر السابق ج/ 10 ص:122.
36. ينظر المصدر السابق ج/ 10 ص: 123.
37. البقرة /253.
38. ينظر كتاب سراج القارئ المبتدي لابن القاصح ص : 23.
39. [1]- الإمام حمزة هو أحد القراء الذين تواترت قراءاتهم ويلقب بحمزة الزيات توفي سنة 156 هـ ، ينظر ترجمته في كتاب طبقات القراء لابن الجزري ج/1 ص : 261.
40. البقرة/60.
41. الصافات / 84.
42. البقرة /108.
43. النساء /56.
44. الملك /3.
45. الفتح /12.
46. شرح المفصل لابن يعيش ج/10 ص: 143.
47. المصدر السابق ج/1 ص :+142.
48. سر صناعة الإعراب لابن جنّي دراسة وتحقيق الدكتور حسن هنداوي ص: 57.
49. شرح المفصل لابن يعيش ج/10 ص :123.
50. سر صناعة الإعراب لابن جني ص: 51.
51. الداني هو: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأموي وعرف بالداني نسبة لسكناه بدانية توفّي سنة 444هـ ، ينظر ترجمته في كتاب طبقات القراء لابن الجزري ج/1 ص:503.
52. التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الدّاني ص: 27.
53. المصدر السابق ص :44.
54. ينظر كتاب الأصوات اللغوية للدكتورعبد التواب مرسي ص : 200 .
55. يس/ 1.
56. ينظر كتاب تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة لابن الجزري، ص : 167 ، ط / الأولى عام1983م ،نشر / دار الكتب العلمية ، بيروت .
57. ينظر كتاب الكشف لمكي بن أبي طالب تحقيق الشيخ عبد الرحيم الطرهوني ج/1 ص : 221 ، ط/ 2002م ، نشر / دار الحديث .
58. يس / 13.
59. هشام هو أحد راويي الإمام ابن عامرأحد القراء السبعة أصحاب القراءات المتواترة ، وينظر في نسبة هذه القراءة كتاب تحبير التيسير لابن الجزري ص: 63.
60. ينظر كتاب الكشف لمكي بن أبي طالب ج/ 1 ص : 212.
61. يس /8.
62. يس/ 13.
63. يس / 14.

64. يس /18.
65. يس /21.
66. يس /30.
67. يس / 31.
68. يس / 34.
69. يس/37.
70. يس /42.
71. يس /43.
72. يس /46.
73. يس /51.
74. يس / 57.
75. يس /68.
76. يس /71.
77. يس /77.
78. يس /80.
79. يس / 80.
80. ينظر كتاب التيسير لأبي عمرو الداني ص: 44.
81. ينظر كتاب التيسير لأبي عمرو الداني ص : 44.
82. هو الإمام أبو القاسم بن فيرة الرعيني الشاطبي نسبة إلى مدينة (شاطبة) في الأندلس توفي سنة 590هـ ، ينظر ترجمته في كتاب طبقات القراء لابن الجزري ج/ 2 ص : 20-23.
83. هذا البيت من الشاطبية وهي مجموعة أبيات ألفت لتلخص القراءات السبع ينظر كتاب سراج القارئ المبتدئ لابن القاصح ص: 63 .
84. ينظر كتاب الكشف لمكي بن أبي طالب ج/1 ص : 223.
85. يس / 4.
86. يس /61.
87. يس / 66.
88. ينظر كتاب تقريب النشر لابن الجزري ص : 7 ، وينظر كتاب التيسير للداني ص : 27.
89. الكشف لمكيّ بن أبي طالب ج/ 1 ص : 123.
90. يس / 12.
91. يس / 27.
92. يس / 47.
93. يس / 47.
94. يس / 47.
95. يس /75.
96. يس /76 .
97. يس /80.
98. يس /82.
99. ينظركتاب تقريب النشر لابن ا لجزري ص : 82.
100. الزخرف / 3.